الجيوبوليتيكيا وإدارة الصراع بتمظهرات الجغرافية في المخيلة الاستراتيجية

مركز حمورابي
للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

أبحاث و دراسات
Research and studies

مركز حمورابي
للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

الجيوبوليتيكيا وإدارة الصراع بتمظهرات الجغرافية في المخيلة الاستراتيجية

الدكتور فراس عباس هاشم
جامعة البصرة / كلية القانون

مركز حمورابي للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

12 سبتمبر 2023

حقوق النشر محفوظةلمركز حمورابي للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

لا يجوز نشر أي من هذه الأبحاث و الدراسات و المقالات إلا بموافقة المركز, و يجوز الإقتباس بشرط ذكر المصدر كاملاً , و ليس من الضروري أن تمثل المقالات و الأبحاث و الدراسات و الترجمات المنشورة وجهة نظر المركز , وإنما تمثل وجهة نظر الباحث.

بغداد_عرصات الهندية _ مجاور السفارة الصينية
hcrsiraq@yahoo.cpm
Www.hcrsiraq.net
+9647810234002

مركز حمورابي
للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

المقدمة

مما لا شك فيه تعكس طبيعة التطورات التي تشهدها البيئة الدولية، من جهة ما تشوبها من نزاعات وأزمات عن حالة من الاضطراب والتعقيد التي تشكل ملامح الواقع الدولي الحالي، وما يرتب عليها من أعباء تستلزم من الدول تفعيل استراتيجياتها وتوجيها على نحو يضمن الفهم والتفسير لمناخ التحولات الحاصلة في البيئة الدولية.

وهنا نجد أن المخيلة الاستراتيجية باتت بحاجة إلى استبصارات معرفية تجعلها قادرة على التواصل والتكيف مع مدخلات التغييرات العالمية الجديدة، ولتجاوز حالة الغموض والضبابية في خريطة التفاعلات الدولية، وجدت الجغرافية مركزها في مخيلة الاستراتيجيين باعتبارها جزءاً متلازما للفهم في ضوء التحليل الجيوبوليتيكي، الذي يشكل ذات صلة بتلك التطورات التي تنتجها البيئة الدولية، وبالتالي يجعل الجيوبوليتيك كمصدر إيحاء يسهم في خلق مساحات فكرية من الرؤى والتصورات لدى مخيلة الاستراتيجيين، وصناع القرار، ترتبط بالأهداف الاستراتيجية التي تحدد المسار الخارجي للدول في مواجهة تحديات البيئة الخارجية، إلى جانب ذلك، يلاحظ أن المقتربات الجيوبوليتيكية التي تتغذى عليها المخيلة الاستراتيجية تواجه مؤشرات القصور في تطورها المعرفي، نتيجة لتسارع التطورات الدولية، وتجعلها غير قادرة على إيقاظ تصورات تتناسب مع صياغة الأهداف والغايات الاستراتيجية العليا للدولة

أولا: مناخات البيئة الدولية ومدخلاتها المغذية للإدراكات الاستراتيجية

عرفت البيئة الدولية تغيرات جذرية على مستوى التفاعلات المختلفة (الاقتصادية والاجتماعية ، والسياسية، والعسكرية، والأمنية ...الخ)، وقد أحدثت طبيعة هذه التغيرات تحولات عميقة مست مختلف مكونات مجالات المعرفية الإنسانية من حيث دلالاتها ومضمونها، لتمتد هذه التأثيرات لتشمل فضاءات الاستراتيجية وما يرتبط بها من تأملات فكرية، وهو مفهوم يعود الفضل في بلورته إلى الكاتب الفرنسي (جولي دي ميزوره- Julie de Maisurat) الذي يعد أول من استخدم الكلمة في الشؤون العسكرية في القرن الثامن عشر وتحديداً في العام 1789.

لذا فقد اثارت تحولات البيئة الدولية تطورات معقدة ويصعب قراءة معالمها، فتختلط مستويات دراستها، ومنذ نهاية الحرب الباردة حذرنا الفكر السياسي الأمريكي (جيمس إن روزناو- James N. Rosenau) في كتابة (اضطراب في العالم السياسي) "من أي محاولة فكرية لاستقراء كلي للعالم بوصفه نظاما قابلا للتحديد والتعريف". فالبيئة الدولية مطبوعة بتعقيد لامتناه،

إذ تحضرك عوامل التكتلات هنا (كاتحاد الألمانيتين مثلا), والتمزق الكلي هناك; (كحال الاتحاد السوفيتي أو يوغسلافيا) ورجوع المعيار الديني(كما هو شأن الولايات المتحدة الأمريكية), أو تراجعه هناك; (كما هو شأن الدول الأوروبية), وظهور نوع من السلطوية الجديدة للدولة; (كشأن روسيا), أو تراجعها; (كما هو شأن الدول الأوروبية) ([1]).

وهكذا، كشفت بعض الأبحاث الأكاديمية عن وجود وفرة في الأدبيات الاستراتيجية التي تسعى إلى الاهتمام بتصاعد دور الجغرافية في العقد الأخير من القرن العشرين، استدعتها دلالية تسارع التحولات في طبيعة البيئة الدولية، وارتباطها ارتباطاً وثيقاً في تطور الفكر الاستراتيجي، فضلاً عن تطور حركية الفواعل في النظام الدولي، والتي أفضت إلى تصدر التحولات في جغرافيا العالم وصعود "جغرافيا الاتصال" و"الأقاليم البينية" في بنائها ورواجها موجة الاهتمام في أوجها من حركة النشر في ميادين الدراسات الاستراتيجية في التي أضحت تمتد إلى صدور الكثير من الدراسات والكتب عن مدخلات تلك التحولات والتفاعلات على اختلاف أشكالها، التي يشهدها العالم ([2]). ولهذا يمكن ملاحظة التداخلات التي تعكس وضع الجغرافية في استنارة مدركات الذهنية الاستراتيجية، نحو احتضانها للمساهمة الجيوبوليتيكية في تطوير نظريات ومقاربات جديدة في صياغاتها الاستراتيجية، تتجاوز الأطر التقليدية تجسدها أهداف الدول في ممارساتها في البيئة الدولية.

ومن هنا، ثمة التقاء جوهر الجغرافيا مع أبنية التفكير الجيوبوليتيكي، حيث يشكل كل من الهيكل الطبوغرافي للدولة والمنطقة التي تقع فيها، وخصائص جيرانها- العناصر الأبرز للتصور الجيوبوليتيكي للدولة، وتؤثر هذه العوامل الهيكلية بشكلٍ مباشر ومستمر في عملية صنع القرار السياسي، ولاسيما فيما يتعلق بالسياسة الخارجية، لذلك يمكن القول، إن الجيوبوليتيكية توجه الدراسات الاستراتيجية من خلال القواعد والأحكام التقديرية التي تحددها،

([1]) عبد الحق عزوزي، البيئة الامنية الدولية وكيفية صناعة الاستراتيجية، سلسلة محاضرات الإمارات (160) ، (أبو ظبي : مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، 2013)، ص 10.

([2]) فراس عباس هاشم، جنان يوسف، "الولايات المتحدة وإعادة تشكيل البيئة الاستراتيجية في الفضاءات الجيوسياسية العالمية (منطقة الإندو-باسيفيك انموذجا)"، ابحاث ودراسات ، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، ص 3، متاح على الرابط التالي : https://www.hcrsiraq.net/2314/2022/07/02

من خلال إقامة علاقة سببية بين الجغرافيا والاستراتيجية متأثره بذهنية مدركات وتصورات صناع القرار التي قد تتحول إلى آليات لأثراء النشاط الذهني بوسائل تعمل على تطوير فاعلية الاستراتيجية وتأثيراتها في البيئة الدولية([1]).وهو ما ترتب عليه علاقة متجانسة بين الاستراتيجية والجغرافية بوصف الاخيرة مساندة في تدعيم فاعلية الاستراتيجية على الاستمرارية أو التغيير في عملية بناء المنظومة الفكرية لصياغة الاستراتيجية التي تتلاءم داخل بيئة التفاعل.

إلى جانب ذلك، يمكننا القول تستوعب العلاقة بين المجالين الجيوبوليتيكي والجغرافي أو الحيوي، طبيعة الأفكار والاقترابات التي تتمخض عن مناخات البيئة الدولية، إلى جانب هذا المعطى نجد أن المفاهيم الجيوبوليتيكية غالبا ما تجد في مفاهيم الجغرافية مصدر الهام لها في شرح الظواهر التي تشهدها الساحة الدولية، فعلى سبيل المثال أن مفهوم "الإندو-باسيفيك" (Indo-Pacific) يجد أصوله في المفهوم الجغرافي الحيوي الإقليمي لبحار الأرض ورغم اختلاف المجالين، فإن جمع المفهوم الجغرافي الحيوي بين المحيطين الهندي والهادئ، استثار مخيلة محللين جيوبوليتيكين واستراتيجيين وصناع قرار لاستعارة المفهوم، للربط بين المحيطين ولكن هذه المرة ، كما كان عليه الحال في المفهوم الجغرافي الحيوي([2]).

وهكذا، تعمل تعقيدات البيئة الدولية كأداة تعيد النظر بمنظورات الادراك للاستراتيجيين فيما يتعلق باكتشاف عوامل نجاح مستويات الاستراتيجية المختلفة. بمعنى أن الاستراتيجية بدت كأنها (خطة عمل، الهدف منها تحقيق غايات معينة مع وجود نظام خاص من الإجراءات لتنفيذها) . وفي هذا توسع كبير لمفهوم الاستراتيجية بحيث لم يعد مقتصراً على استخدام القوة بل تحول إلى منهج عمل أو خطة شاملة لتنفيذ الغايات كافة. وهذه الغايات تحددها السياسة أو النهج الذي تضعه المؤسسة كأهداف تروم تحقيقها. وهنا وصف (هانر) الاستراتيجية بأنها (منهج متعدد الخطوات لإنجاز أهداف محددة ومحكومة بخطة معينة متضمناً استخداماً متناسقاً لموارد و عناصر الدولة ضمن الإطار الزمني المخصص لتنفيذ تلك الأهداف). وقد ألمح أيضاً (أنسوف) بأنها (المنهج الذي يوجه الدولة وتغييرها) ([3]).

([1]) فراس عباس هاشم، جنان يوسف، مصدر سابق ، ص 5.

([2]) عبد القادر دندن، صراع القوى الكبرى في الهندوباسيفيك إعادة تخيل الخريطة الاستراتيجية لآسيا، (قطر : مركز الجزيرةللدراسات ، 2023)،ص 24.

([3]) نقلا عن: منعم صاحي العمار، "الاستراتيجية والديمقراطية وتناوب قوى الجذب بينهما (الولايات المتحدة الأمريكية إنموذجاً)"، مجلة قضايا سياسية، المجلد (الخامس)، العدد (16)، (2009)، ص 4.

ولا يفوتنا في هذا السياق الإشارة إلى إن الاستراتيجية غالباً ما تترادف مع التخطيط، لكن التخطيط يتضمن عدة عمليات، من بينها انتقاء الأهداف واختيارها ووضعها، أما الاستراتيجية فهي كيفية الوصول إلى تلك الأهداف داخل البيئة الاستراتيجية. فنحن حين نباشر موضوعاً ما من الناحية الاستراتيجية، لا بد وأن نجيب على الأسئلة التالية: ماذا؟ ومتى؟ وكيف؟. وفي خضم تلك الأسئلة يتحدد الإطار والأسلوب الذي من خلاله ستتم تعبئة وتنسيق وتوجيه الطاقات والموارد والقوى البشرية والمادية والمعنوية والمالية المتاحة في الحاضر والمستقبل، بغية تحقيق أهداف محددة ومرسومة من طرف التنظيم المشرف على عملية التخطيط أو عملية وضع الاستراتيجية ([1]).

من ناحية أخرى، تعد مفردة الاستراتيجية واحدة من المداخل المفسرة لطبيعة الأداء السياسي المجتمعي وفروضه، ليس لكونها تمثل المنطلق الذي تبنى عليه الدول سلوكها وأهدافها فحسب، بل لأنها المفتاح الذي يكشف كيف يمكن أن تحيا الشعوب وما يقف خلفها من غايات وأهداف ونوايا ([2]). ووفقاً لهذا التصور يمثل التفكير الاستراتيجي محصلة إدراك ثاقب ورؤى معمقة تسندها المبادئ والافكار والعقائد هدفها وصف أو صنع مناخ عملياتي ملائم لتطبيقاتها بصورة هادفة غير مسبوقة تتعلق دلالاتها بالاعتبارات المتعلقة بالمصالح. وهو بذلك لا يعني صنو الحاجة لبناء موقف أو لمواجهة ظرف طارئ أو منازلة مقررة بل هو إطار شامل يلم بين طياته مخالف أنماط التعامل المعهود بها وتستند إلى فكرة جديدة تتميز باستخدام المناهج اللصيقة عبر اقحام النظريات(كالجيوبوليتيك) في انشطته تتيح تطوير للوحدة البنائية القائمة على التخطيط والقيادة والقرار والتصرف تجاه تطورات البيئة الدولية ([3]).وإزاء ما تقدم، يتبين لنا إن الهدف النهائي لجميع الاستراتيجيات هو إحداث تأثيرات محددة في البيئة الاستراتيجية، حيث تساهم هذه التأثيرات في خدمة وحماية مصالح الدولة.

([1]) المصدر نفسه ، ص 8.

([2]) منعم صاحي العمار، منازعات الذات هل بمقدور الديمقراطية ضبط العلاقة بين الاستراتيجية والتغيير الولايات المتحدة الأمريكية انموذجاً ،(دار النشر غير معروفة ، 2012)، ص 10 .

([3]) منعم صاحي العمار ،" منازعات الذات هل بمقدور الديمقراطية ...."، مصدر سابق ، ص 102.

والقيادة الوطنية تستخدم استراتيجية محددة لتوجيه التفاعل مع الدول أو الأطراف الأخرى الخارجية منها والمحلية، وتدرس الاحتمالات المستقبلية المتوقعة بهدف خدمة رفاهية الدولة ([1]).

ونخلص القول إلى أن ديناميات التغيير والتحول التي تشهدها البيئة الدولية، هي نتاج تفاعلات مستحدثة تبلورت نتيجة استراتيجيات متعارضة لأطراف دولية متعددة، تهدف إلى تحقيق غايات تعظيم فوائد مصالحها الوطنية، حيث وجدت الجغرافية أهميتها في مجالات الاهتمام الاستراتيجي، بوصفها مدخلاً لفهم تطورات البيئة الدولية، وهو الأمر الذي انعكس في تطوير المدركات الاستراتيجية لتصورات صناع القرار والخبراء الاستراتيجيين المتعلقة، بمراجعة مخرجات الأداء الاستراتيجي من جهة، ومن ناحية أخرى جعلت الدراسات الاستراتيجية تشهد تغييرات على صعيد الابتكار وتقديم الأفكار التي تخدم مصالح الدولة وتحقق أهدافها في البيئة الدولية.

ثانيا: استبصارات الجيوبوليتيكيا كمتخيلة لمختبرات الاستراتيجية

مما لا شك فيه تعد الجيوبوليتيك من وسائل الجذب في المخيلة(*) الاستراتيجية وتعمل الجيوبوليتيك كإطار موجه بتعديل للرؤية الاستراتيجية في بيئة التحول التي تشهدها بيئة العلاقات الدولية، كون ما يميزها من غيرها من المفاهيم التخصصية في الدراسات السياسية أنها تزود الاستراتيجية بخيارات الجذب في ظل صراع الأفكار وتواردها في ذهنية الاستراتيجي لأفضل مجالات تحرك الدولة في فضاءات الجغرافية العالمية من جهة، ومن جانب أخر لا تقتصر فقط بتحديد حركة الدولة في بيئتها الاستراتيجية وإنما تقدم أيضاً أفضل أدوات تحقيق أهدافها تجاه مجالات الجذب المكانية التي يبحث عنها المفكر الاستراتيجي في مخيلته .

وعليه، يمكن الإفادة من التحليل الجيوبوليتيكي لأغراض متعددة منها استراتيجية أو عسكرية أو سياسية،

([1]) هاري آر يارغر ، الاستراتيجية ومحترفو الأمن القومي : التفكير الاستراتيجي وصياغة الاستراتيجية في القرن الحادي والعشرين ، ترجمة : راجح محرز علي، (أبو ظبي : مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية 2011)،ص 204.

(*) التخيل :" هو تمثل الأشياء دون أن تكون ماثلة أمامك كما هي في الواقع، في التو، وبذاتها. يمكن للمرء استخدام التخيل لتمثل الإمكانات المحتملة لا الواقعية، ولتمثل الأزمان الأخرى لا الحاضر، ولتمثل وجهات النظر غير الخاصة به. وبخلاف الإدراك والاعتقاد، فإن تخيل شيء ما لا يتطلب أن يكون ذلك الشيء حقيقيا". شين بي لياو، "التخيل والخيال وفلسفتهما"، ترجمة : ناصر الحلواني ، موقع حكمة الالكتروني ، شوهد في 25/8/2023 ، في: https://hekmah.org

وهو يساعد مخيلة الاستراتيجيين أو صناع القرار أو القادة العسكريين على اتخاذ قراراتهم بشأن إقحام القوة أو التراجع عنه بالانسحاب، كما يسوغ هذا التحليل على تقدير المناطق التي يحتمل جداً أن يحدث فيها تصادم المصالح الدولية، وفي ضوء التحليل الجيوبوليتيكي أيضاً يمكن إعداد السياسات والخطط والمناهج الذي ينطوي عليها السوق الأكبر
أو الاستراتيجية العليا ([1]).

وفي سياق ما تقدم، يوحي صوغ الاستراتيجية بمدى قدرة أي بلد على التأثير في مجريات الأحداث واستباق المشكلات الممكنة في جغرافية التفاعلات الدولية، وقد تعددت أنواع حقول الاستراتيجية وأن كانت في جوهرها واحدة من حيث الأهداف والأساليب ومن بين تلكم الحقول، هناك الاستراتيجية المجالية بما فيها الاقتصاد والسياسية والاجتماعية والعسكرية، وهناك مستوى الاستراتيجية أي استراتيجية عليا واستراتيجية عسكرية واستراتيجية عملياتية، وفي مجال الاستراتيجية العسكرية، هناك الاستراتيجيات البرية والبحرية والجوية، ويمكن استقراء الاستراتيجية أيضاً من حيث الزمن، فقد تكون شاملة وعامة، وقد تكون محدودة ومرحلية، ومن حيث الوصول تعد البيئة الاستراتيجية الحقل الذي تتفاعل فيه القيادة من منطلق ذاتي مع دول وأطراف أخرى لخدمة مصالحها، وتتألف هذه البيئة من سياق داخلي وآخر خارجي، وظروف، وعلاقات، وتوجهات، وقضايا، وتهديدات، وفرص، وتفاعلات، ونتائج تؤثر في نجاح الدولة في علاقاتها مع العالم المادي ومع الدول والأطراف الأخرى، كما تضم عاملي المصادفة و المستجدات المستقبلية المحتملة للتعامل مع البيئة الدولية ([1]).

([1]) فراس عباس هاشم، جنان يوسف، مصدر سابق ، ص11.
إلى الغايات هناك الاستراتيجية المباشرة وغير المباشرة ([2]).
إذا تسعى الاستراتيجية لإحداث تأثيرات في البيئة، أي العمل لتحقيق نتائج مرغوب فيها، واستبعاد النتائج غير المرغوب فيها، وإعادة النظر في مختلف مخرجاتها لاستيعابها معرفياً، بالنسبة للدولة،
([1]) إدريس عطية، " محاضرات في مقياس علم الاستراتيجية"، القيت على طلبة البكالوريوس، في جامعة الجزائر 3 ، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، قسم الدراسات الدولية، للعام الدراسي (2019-2020)، متاحة على الرابط : https://www.elsiyasa-online.com/2020/04/Lectures-on-the-science
([2]) عبد الحق عزوزي، مصدر سابق ، ص 16.

ولعل ذلك ما يفسر تدافع الحوافز الاستراتيجية ومضامينها بالتركيز على تعاظم دور العوامل الجيوبوليتيكية برؤاها وتصوراتها بأحداث تصورات استراتيجية نوعية، لا سيما تلك المتعلقة في تشكيل السياسة الوطنية والاستراتيجية الكبرى للدول وفق مصالحها الخاصة، حيث تؤثر في عملية صنع القرار السياسي من خلال استغلال الفرص ومواجهة التهديدات، على سبيل المثال وجود دولة محاطة بالبحار أو دولة لها حدود مشتركة مع منطقة نزاع، أو تفتقر إلى المرتفعات الطبيعية- يعني أنها ستتأثر بهذه العوامل في أمنها القومي حتمًا([1]). ويمكننا أن نستحضر هنا إلى أن الجيوبوليتيك برزت كموجه للمجالات الحيوية للدول وهي تبحث عن النمو والتوسع في حدودها، حيث تلقفه الاستراتيجيين الألمان ومن أبرزهم الجغرافي الألماني(فردريك راتزل- Friedrich Ratzel) ليشبه الدولة في مخيلته الاستراتيجية بصورة الكائن العضو باعتبار الدولة بحدودها السائلة قابل للنمو والتطور والتوسع في ساحات الجذب الجيوبوليتيكة من خلال اقتضاب الدول للحدود الطبيعية أو من خلال النطاقات الجغرافية المتخيلة التي يرسمها الاستراتيجيين في مخيلتهم الذهنية.

وفي ذلك يرى الاستاذ الدكتور(منعم العمار) في كتابه (منازعات الذات هل بمقدور الديمقراطية ضبط العلاقة بين الاستراتيجية والتغيير) "إلى أن الاستراتيجية تعني استخدام كل الوسائل والمعارف والموارد لتحقيق أهداف معينة، أي أن هناك تكاملاً وتداخلاً بين الأهداف والوسائل، وعلى قدر تسلسل الأهداف واختيار افضل الوسائل لتحقيقها، يكون تطور مستويات اتخاذ القرار" ([2]).

وفي هذا السياق يوازن المفكرون الاستراتيجيون بين الأولويات، والوسائل لتحقيق الغايات للدول، وذلك لفهم كيفية تطوير مقتربات استراتيجية جديدة لانتقاء خيارات ترسخ تأثيرها الدولي وتعزيز دورها في دوائر النفوذ الجيوبوليتيكية بشكل فعال، بما يضمن مصالحها وتفاعلاتها داخل نطاق البيئة الاستراتيجية، وبالتالي يتطلب تفعيل الأداء الاستراتيجي حشد الموارد العسكرية والاقتصادية والدبلوماسية والثقافية وحتى الأخلاقية للمجتمع ([1]).

([1]) فراس عباس هاشم، جنان يوسف، مصدر سابق ، ص 12.
([1]) المصدر نفسه ، ص 11.
([2]) منعم صاحي العمار،" منازعات الذات هل بمقدور الديمقراطية ...."، مصدر سابق، ص 23.

ولهذا كانت الجيوبوليتيكيك وسيلة فعالة استخدمها الاستراتيجيون بصورة غير مباشرة في للاستدلال على رسم الأهداف الاستراتيجية لصناع القرار في طموحاتهم الخارجية عبر تفسير حقائق التطورات التي تشهدها البيئة الدولية من تحولات وأحداث من شأنها إحداث نقله في التأصيل لاستراتيجيات جديدة تنتهجها الدول لمواجهة أي تطورات محتملة أو مخاطر قد تهدد مصالحها القومية .

وعطفاً على ما سبق، تشير الاستراتيجية في إطار الدولة إلى" توظيف أدوات معينة للقوة لبلوغ الأهداف السياسية التي تنشدها الدولة ، بالتعاون أو بالتنافس مع أطراف أخرى تسعى نحو أهدافها الخاصة، ويمكن أن تكون الأهداف متضاربة "([1]).وفي هذا السياق فإن الجيوبوليتيكيا تدفع بالاستراتيجي باستقراء أحداث للماضي لممارسة المعرفة كوسيلة تعزز من وعي الابتكار لأفكار جديدة تبني رؤاه وتوقعاته للمستقبل لاستيعاب محركات الأحداث التي تتيح للدول إيجاد البدائل والوسائل الملموسة التي تمكنها من التكيف مع واقع الأحداث مكوناتها المركبة التي تدور في البيئة الدولية.

وهذا ما جعل المبادرات الاستراتيجية المصنوعة بعناية تحدد النتائج المستقبلية في مخرجات مقبولة لدى صانعي السياسة أكثر من النتائج التي تحددها المصادفة أو التوجهات النفعية أو الخصوم ([2]). لذلك ينبغي للخبير الاستراتيجي أن يرى العالم المادي كما هو وكما يمكن أن يكون وفي سياق المصالح والقضايا التي يعمل لخدمتها، ويجب أن تكون الاستراتيجية والسياسة منسجمتين مع قوانين العالم الطبيعي، في خدمة الدولة ولكن هذه القوانين لها معنى في سياق البيئة المتغيرة والمصالح والقضايا ([3]).

وفي ضوء ما تقدم، يمكننا القول أن تطورات البيئة الدولية وما يصاحبها من أحداث واضطرابات بتمظهراتها المختلفة (أزمات متعددة ، انتشار الأوبئة، مخاطر الاحتباس الحراري، أزمة الغذاء العالمي...الخ)، سمحت تلك التطورات على تمكين الجيوبوليتيك أن تثبت فاعليتها من خلال تقديمها لمساحة واسعة من التفسيرات والآراء المتعددة أمام التأملات التي تعصف بمخليه الاستراتيجي أو صناع القرار لإعادة تقييم الخيارات الاستراتيجية للتكيف مع الواقع البيئي الجديد، فضلاً عن ذلك تكون مسوغه تجاه تفضيلات الدول حيال مجالات تحقيق مصالحها الوطنية وتحقيق نفوذها في البيئة الدولية.

([1]) هاري آر . يارغر ، مصدر سابق ، ص 37.
([2]) هاري آر . يارغر ، مصدر سابق ، ص 78.
([3]) المصدر نفسه ، ص 104.

ثالثا: إشكاليات التحليل الجيوبوليتيكي كمتلازمة منتجة للأفكار الاستراتيجية

لا شك في أن تعقيدات البيئة الدولية وما يكتنفها من تغيرات غير متوقعة الحدوث، امتدت آثارها إلى مجال الجيوبوليتيكية، حيث تحد من قدرتها في تزويد مخليه صناع القرار والخبراء الاستراتيجيين في بناء رؤاهم وتصوراتهم، تجاه التعاطي مع تطورات البيئة الخارجية. وبالتالي تجعل مواقف مواقفهم اشد ميلاً نحو الابتعاد عن منظورات الجيوبوليتيك كنموذج غير فعال في عملية رسم أنماط التوجه الاستراتيجي في مسرح التفاعلات الدولية .

وفق هذا المقاربة ، تتضح العلاقة اكثر بين ادماجية الجيوبوليتيك والاستراتيجية تجاه مراحل صياغة الاستراتيجية لأن المخيلة الاستراتيجية في معناها المجرد نوع من الوهم لما تحتويه من الآراء والتصورات المتعددة كونها توضع للتنفيذ من أجل تحديد الأهداف والغايات في المستقبل، لكنّها تُستدعى إلى الحاضر لرسم معالمها، فإن البيئة الدولية بطبيعتها الديناميكية المتبدّلة والمتغيّرة هو العامل الحاسم في نجاح الاستراتيجيّة أو فشلها. ولأن الاستراتيجيّة لا تستطيع دائما توقّع الأسرار التي يحملها الواقع، أو التأقلم مع تغيّراته ومفاجآته، فإن المُخطِّط أو واضع الاستراتيجيّة يضطر في كثير من الأحيان إلى الافتراض والتبسيط، وهنا تقع الكارثة في مواجهة التفاعلات الحادثة ([1]).

ولتحييد آثار هذه التحيزات تجاه الجيوبوليتيك بما يخدم التوجهات الاستراتيجية وغيرها، فمن الضروري مراجعة الباحثين ومحللي السياسات لاعتقاداتهم الاستراتيجية حول العالم بشكل دوري ودائم، والتعرض للأفكار والاتجاهات التي تناقض توجهاتهم واعتقاداتهم. وقد حدد مشروع "الأحكام السليمة" في وكالة الاستخبارات الوطنية في الولايات المتحدة خصائص المتنبئين الفائقين بسبب دقة نتائجهم على النحو التالي: الذكاء الفائق والذي يعول على أحكامه، والمعرفة واسعة النطاق خاصة في السياسة، ومعدلات عالية في اختبارات التفكير المنفتح، والرغبة في التفكير في المعلومات المناقضة لوجهات النظر السائدة والسابقة، والميل إلى الاستمتاع بالتفكير والتنبؤ، والاعتقاد بأن التنبؤ مهارة يمكن تطويرها وليست مجرد قدرة باطنية أو حظاً أعمى، وامتلاك رؤية معرفية للبيئة الدولية ([2]).

([1]) إلياس طنوس حنا، "الحرب الروسية على أوكرانيا في الميزان الجيوسياسي"، في : التقرير الاستراتيجي (2022-2023)،(الدوحة : مركز الجزيرة للدراسات ، 2023)،ص 15.

([2]) "صناعة السياسات: كيف يُمكن استشراف المستقبل في بيئة شديدة التعقيد"، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة ، 2/3/2023، شوهد في 23/8/2023 ، في : https://futureuae.com/ar-AE/Activity/Item/188

وهنا نصبح أمام مباراة بين الأهداف التي ترفعها الاستراتيجية في حلبات البيئة الاستراتيجية مع أفعال الوسائل التي تولد طموحات الاستراتيجيين، مقابل هذا كله نجد أن الجيوبوليتيك بوصفها كائن حي دائم البحث عن مجالات تشبع حاجات الدول ورغباتها في التوسع دون التنكر للقيم التي تبتكرها الرؤى الاستراتيجية، ونزوعها للوسائل التي تحقق تلك القيم التي تحملها الأهداف الاستراتيجية التي تتعامل معها الدول بوعي استراتيجي، من خلال عرض المحفزات التي سوف تحققها مشاهد العلاقة بين الجيوبوليتيك والمخيلة الاستراتيجي.

ورغم ذلك، بدأ هناك من يردد دائما بان التاريخ لا يعيد نفسه نهائيا، مع ذلك نرى أننا بحاجة لقراءته بشكل مستمر في الواقع توجد ظروف تلعب دورها بشكل مستمر والتي تدخل في دائرة اهتمام الاستراتيجية ومنها الجيوبوليتيك والجغرافية، التطور التكنولوجي، والعامل الإنساني، الأزمات الدولية...، ولكن لا يوجد حتمية في هذا الشأن فهي غير كافية، فكل حالة ظروفها الخاصة التي يجب أن تأخذ بالاعتبار في أي قرار استراتيجي. ولتغذو عاملاً يعكس هذه الظروف الخاصة التي تعود الى عوامل جيوبوليتيكية أو جغرافية، أو ظروف سياسية، أو ظروف دبلوماسية وعسكرية، وكلها أمور جعلت "الخيارات الاستراتيجية"(*) أمام واقع من الضبابية وغير المنظور أو المحسوس ([1]).

وعلى أساس ما تقدم، لم يعد ينظر إلى القوة والنفوذ في الساحة الدولية على أنها مجرد التفوق في إمكانات العنف المسلح كما كان الحال في المراحل السابقة من تطورات البيئة الدولية ، وإنما أصبحت هذه بمثابة المحصلة النهائية لعدد كبير من العوامل الاستراتيجية المتداخلة التأثير بعضها مع البعض الآخر ومنها البعد الاقتصادي ([2]).

([1]) صلاح نيوف، مدخل الى الفكر الاستراتيجي، (الاكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك: كلية العلوم السياسية، بدون تاريخ)، ص 77.

(*) تعريف الخيار الاستراتيجي: يرى (ثومبسون- Thompson) أن الخيار الاستراتيجي: "هو ذلك الخيار الذي يقابل احتياجات وأولويات الدولة أو المنظمة والقادر على تحقيق أهدافها من وجهة نظر متخذي القرار أكثر من أي بديل آخر والذي يمكن أن ينفذ بنجاح". أما (سيرو Cerro) فيرى أن الخيار الاستراتيجي: "هو قرار يتم اختياره من بين مجموعة من البدائل، وهو أفضل طريق لتحقيق أهداف الدولةأو المنظمة ويضمن نجاحها المستقبلي". كما يعرف (جوهنسن Johansson) الخيار الاستراتيجي بأنه: " مخرجات لعملية المفاضلة بين بدائل محددة ووفقا لمعايير محددة مسبقا". نقلاً عن : بتغة صونية ، فراحتية العيد، "دور اليقظة الاستراتيجية في صناعة الخيار الاستراتيجي : دراسة ميدانية بالمجمع الصناعي التجاري لمطاحن الحضنة بالمسيلة" ، مجلة البشائر الاقتصادية، المجلد (السابع)، العدد (3)، (2021)، ص 336.

([2]) عادل عبد الحمزة ثجيل، "أثر التوظيف الاستراتيجي في تحقيق أهداف الدولة"، مجلة العلوم السياسية ، العددان(38-39)،(2009)، ص 199.

لذا فإن الموارد الاقتصادية هي الموارد الطبيعية والبشرية المتاحة، وإن توفر هذه الموارد للدولة يتيح لها الأساس المادي للنمو الاقتصادي، ويمكنها من تحقيق أهدافها الاستراتيجية الخارجية، كما يمكن أن تؤثر في إعادة صياغة الأهداف الاستراتيجية لرؤى الدول وطموحاتها، لعدم تناسب قدراتها وامكاناتها من الموارد المتاحة في فرض إرادتها في فضاءات النفوذ والتأثير الجغرافية ([1]).

وفي ضوء ما تقدم، يمكننا القول بات واضحاً إلى أن الجيوليتيك بدت تفقد مفعولها بما تقدمه من آراء أو تفسيرات تثري المخيلة الاستراتيجية تجاه تطور قضايا البيئة الدولية في مختلف المناطق الجغرافية في العالم، فضلاً عن كفاءتها في إدارة ممكنات الإبداع في المخيلة الاستراتيجية في التعامل مع طبيعة الأهداف، وخاصة خلال صوغ الاستراتيجية العليا للدولة، وبالتالي أدت تلك القيود والإشكالات إلى تشظ في الإدراكات التي ستبنى عليها المخيلة الاستراتيجية وتجد مصادر قوتها في التحليل الجيوبوليتيكي .

([1]) المصدر نفسه ، ص 199.

Mobile: 00964 - 7810234002
Baghdad - Aljadiriyah - P O. Box: 2405
E-mail: hcrsiraq@yahoo.com
العنوان: العراق ـ بغداد ـ الكرادة ـ عرصات الهندية ـ مجاور السفارة الصينية
بغداد الجادرية صندوق بريد 2405
Website: http://www.hcrsiraq.net

الخاتمة

وفي ضوء ما تقدم يمكننا القول إلى أن البيئة الدولية تشهد حالة من السيرورة والتحول في الأحداث وديناميكياتها المعقدة، وهنا تجيئ مدخلات تلك التحولات والمتغيرات في معادلة التفاعلات الدولية، لتكشف عن تطور المخيلة الاستراتيجية في مراحل تفكيرها تحت مظلة الجغرافية ومسوغاتها الجيوبوليتيكية التي تفصح عن توجهات الدول في مجالات النمو الجغرافي، وتحقيق المصالح والأهداف لاستراتيجيتها الوطنية العليا.

ومن هنا يعكس هذا التوجه للمخيلة الاستراتيجية نحو الجيوبوليتيك بوصفها لها مخرجات معروفة وقابلة للتفسير وبالتالي تساعد على كشف السياسات المناسبة للتعامل مع أحداث ومخاطر البيئة الدولية، إلا أن سياسات بعض الدول باتت ترفض منطق التحليل الجيوبوليتيكي في رسم سياستها وأهدافها الخارجية، وبالتالي كانت لها تداعياتها الملموسة على صياغة تصوراتها الاستراتيجية، بالإضافة إلى ذلك لم تعد الجيوبوليتيك وحدها قادرة على تقديم قراءات جديدة داخل نزاع المخيلة الاستراتيجية التي باتت مفضله الاستعانة بمناهج علمية متنوعة، تختلف من حيث المضمون عن تصورات الفضاء الجيوبوليتيكي.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الكتب العربية والمترجمة

-صلاح نيوف ، مدخل الى الفكر الاستراتيجي ، (الاكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك ، كلية العلوم السياسية، بدون تاريخ).
-عبد الحق عزوزي ، البيئة الامنية الدولية وكيفية صناعة الاستراتيجية ، سلسلة محاضرات الإمارات (160) ، (أبو ظبي : مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، 2013).
-عبد القادر دندن ، صراع القوى الكبرى في الهندوباسيفيك إعادة تخيل الخريطة الاستراتيجية لآسيا ،(قطر : مركز الجزيرةللدراسات ، 2023).
-منعم صاحي العمار، منازعات الذات هل بمقدور الديمقراطية ضبط العلاقة بين الاستراتيجية والتغيير الولايات المتحدة الامريكية انموذجاً ،(دار النشر غير معروفة ، 2012).
-هاري آر يارغر ، الاستراتيجية ومحترفو الامن القومي : التفكير الاستراتيجي وصياغة الاستراتيجية في القرن الحادي والعشرين ، ترجمة : راجح محرز علي، (أبو ظبي : مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية 2011).

ثانياً: المجلات والدوريات

-بتغة صونية ، فراحتية العيد ، "دور اليقظة الاستراتيجية في صناعة الخيار الاستراتيجي : دراسة ميدانية بالمجمع الصناعي التجاري لمطاحن الحضنة بالمسيلة" ، مجلة البشائر الاقتصادية، المجلد (السابع)، العدد (3)، (2021).
-عادل عبد الحمزة ثجيل، "أثر التوظيف الاستراتيجي في تحقيق أهداف الدولة"، مجلة العلوم السياسية ، العددان(38-39)،(2009).
-منعم صاحي العمار، "الاستراتيجية والديمقراطية وتناوب قوى الجذب بينهما (الولايات المتحدة الأمريكية إنموذجاً)" ، مجلة قضايا سياسية ، المجلد (الخامس)، العدد (16)، (2009).

ثالثا: التقارير

-إلياس طنوس حنا، "الحرب الروسية على أوكرانيا في الميزان الجيوسياسي"، في : التقرير الاستراتيجي (2022-2023)،(الدوحة : مركز الجزيرة للدراسات ، 2023).

رابعاً: المواقع الإليكترونية

-فراس عباس هاشم، جنان يوسف، "الولايات المتحدة وإعادة تشكيل البيئة الاستراتيجية في الفضاءات الجيوسياسية العالمية (منطقة الإندو-باسيفيك انموذجا)"، ابحاث ودراسات ، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، ص 3، متاح على الرابط التالي : https://www.hcrsiraq.net/2314/2022/07/02

-شين بي لياو، "التخيل والخيال وفلستهما" ، ترجمة : ناصر الحلواني ، موقع حكمة الالكتروني ، شوهد في 25/8/2023 ، في: https://hekmah.org

-إدريس عطية ،" محاضرات في مقياس علم الاستراتيجية"، القيت على طلبة البكالوريوس، في جامعة الجزائر3 ، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، قسم الدراسات الدولية، للعام الدراسي (2019-2020)، متاحة على الرابط : https://www.elsiyasa-online.com/2020/04/Lectures-on-the-science

-"صناعة السياسات: كيف يُمكن استشراف المستقبل في بيئة شديدة التعقيد" ، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة ، 2/3/2023، شوهد في 23/8/2023 ، في : https://futureuae.com/ar-AE/Activity/Item/188

مركز حمورابي
للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

مركز حمورابي للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

تأسس مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية في،18-11-2006 بمدينة بابل(الحلة)، كمركز علمي بحثي يمتد الى دراسة الموضوعات السياسية و المجتمعية بصورة علمية و استراتيجية، فضلاً عن التركيز على القضايا والظواهر الحادثة والمحتملة قي الشأن المحلي والأقليمي والدولي ، ويتعامل مع باحثين من مختلف التخصصات داخل العراق وخارجه، وتحتضن بغداد المقر الرئيسي للمركز.

www.hcrsiraq.net

07810234002

hcrsiraq@yahoo.com

2405

hcrsiraq

hcrsiraq

العراق - بغداد- الكرادة - العرصات الهندية-قربالسفارةالصينية